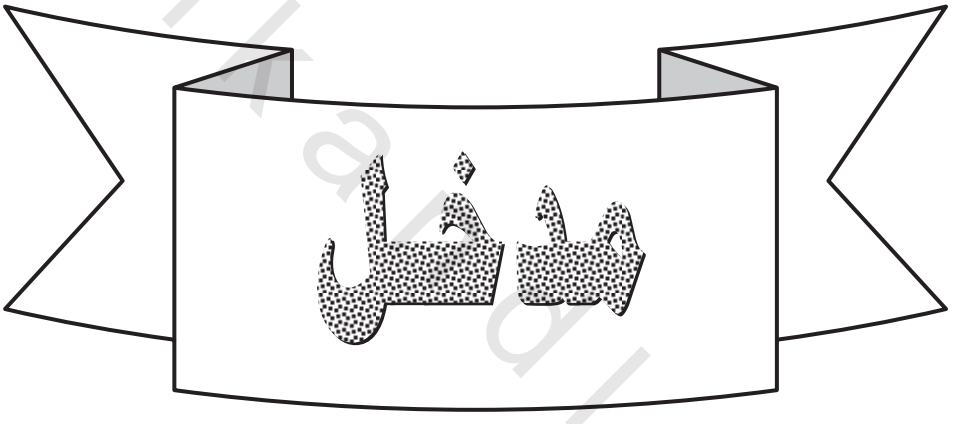

obeikandl.com

obeikandl.com

مدخل
المطلب الأول
اتجاهات التفسير

للدخول إلى الكلام على التفسير الموضوعى ينبغى أن نعطى لمحة سريعة عن اتجاهات التفسير بغير كبير خوض في ذلك، إذ هو مستوف في مظانه، معلومٌ لمن عالج شيئاً من علم التفسير، بل ذلك لزوم البحث.

لقد مر علم التفسير بمراحل عدة حتى اتضحت مدارسه، وتمايزت مناهجه، وظهر أعلامه.

وأولى تلك المراحل كانت مرحلة التفسير في عهد النبى ﷺ وأصحابه الكرام؛ فكان رسول الله ﷺ مصدر التفسير للصحابة الكرام. فلما انتقل ﷺ إلى مولاه، كان مصدر الصحابة في التفسير: القرآن الكريم، ثم سنة النبى ﷺ ، وثالثاً: الاستنباط المبنى على معرفة اللغة ومشاهدة حال الرسول ﷺ ومعرفة أسباب نزول الآيات وملابساتها، علاوةً على قوة فهمهم وسلامة فطرتهم وسليقة لسانهم. وقد أضاف الدكتور/ محمد حسين الذهبى[1] مصدراً رابعاً هو أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وإن كنت قد استغربت إضافته لهذا المصدر؛ لوصول نهى النبى ﷺ للصحابة ألا يصدقوا أهل الكتاب ولا يكذبونهم فيما سكت عنه القرآن، ولأن عدم نقل المفسر عن أهل الكتاب وخلو التفسير من الإسرائيليات يعتبر مدحاً له. فكيف يتخذ الصحابة الكرام ذلك مصدراً لتفسيرهم؟! وقد أورد «الذهبى» نفسه أن العلماء كانوا يتقون تفسير الإمام المفسر «مجاهد بن جبر»

---

(1) محمد حسين الذهبى «التفسير والمفسرون»، الطبعة السادسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة وهبة القاهرة، (١/ ٤٢).

لسؤاله أهل الكتاب.[١]

ولقد تكلم كثيرٌ من الصحابة في تفسير القرآن الكريم، منهم الخلفاء الأربعة وغيرهم.[٢] وأشهر من أثر عنه ذلك فهم: عبد الله بن عباس[٣]، وعبد الله بن مسعود[٤]، وعلى بن أبى طالب[٥]، وأبى بن كعب[٦] ﷺ.

وتميزت هذه المرحلة بعدم تفسير القرآن كله، وبقلة الاختلاف في فهم المعانى، مع الاقتصار على توضيح المعانى اللغوية، وكذلك بعدم التدوين.

وأما ثانى مراحل التفسير، فكانت في عصر التابعين الذين تتلمذوا على

---

(1) محمد حسين الذهبى «التفسير والمفسرون»، (١/ ١١٤).

(2) انظر عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى «الإتقان في علوم القرآن»، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٧٤م ، مجلد٢، (٤/ ٢٣٣).

(3) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ربانى أمة محمد ﷺ وأعلمها بكتاب الله تعالى وأفقهها بتأويله. ولد قبل البعثة بثلاث سنوات عمَّر إحدى وسبعين عاماً، وتوفى عام ٥٥هـ ، انظر ابن الجوزى «صفة الصفوة» ، (١/ ٣١٤-٣١٩).

(4) عبد الله بن مسعود بن غافل، أسلم قديما، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، والمشاهد بعدها، لازم النبى ﷺ ، قال فيه الرسول ﷺ : «من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»، توفى ٣٢هـ ، انظر ابن الأثير «أسد الغابة»، (٣/ ٣٨٤)، وانظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (٧/ ١٦٢ - ١٦٣).

(5) على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ ، أول الناس إسلاماً، زوَّجه النبى من ابنته فاطمة عليها السلام، شهد المشاهد كلها مع الرسول إلا تبوك، وقال له أنت منى بمنزلة هارون من موسى، توفى ٤٠هـ، أنظر ابن الأثير «أسد الغابة»، (٤/ ٩١) وما بعدها.

(6) أبى بن كعب بن قيس الأنصارى، سيد القراء من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً، والمشاهد كلها، أخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم، أول من كتب للنبى ﷺ ، توفى ٣٠هـ، انظر ابن الأثير «أسد الغابة»، (١/ ٤٩-٥٠).

obeikandl.com

أيدى الصحابة ونقلوا عنهم. وقد اعتمد هؤلاء على فهمهم لكتاب الله، وعلى ما رواه الصحابة عن رسول الله ﷺ، وكذلك على تفسير الصحابة، ثم اجتهادهم.

وقد نشأت في هذه الفترة مدارس مختلفة للتفسير:

أولاها: مدرسة التفسير بمكة. والتي قامت على عبد الله بن عباس ﷺ. وكان أشهر رجالها: سعيد بن جبير[١]، ومجاهد بن جبر[٢]، وعكرمة مولى ابن عباس[٣]، وطاووس بن كيسان اليمانى[٤]، وعطاء بن أبى رباح.[٥]

وثانيها: مدرسة التفسير بالمدينة. وكان أشهر رجالها: أبا العالية رفيع بن

---

(1) سعيد بن جبير حبشى الأصل، كان – رحمه الله – من كبار التابعين، ومقدمهم في التفسير والحديث والفقه والقراءات. قتل في شعبان ٩٥هـ، وهو ابن تسع وأربعين سنة، قتله الحجاج، وله مناظرة معه قبل موته. انظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (٩/ ٩٦-٩٨)، وانظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٤/ ١٣-١٤).

(2) مجاهد بن جبر المكى المقرئ المفسر أحد الأعلام الإثبات ولد ٢١هـ في خلافة عمر ﷺ توفى ساجداً في مكة ١٠٤ هـ، اعتمد البخارى تفسيره، انظر النووى«تهذيب الأسماء واللغات»، (٢/ ٨٣).

(3) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله مغربى من البربر، روى كذلك عن أبى هريرة و على بن أبى طالب و غيرهم، وقد وثقه الأئمة الثقات كالبخارى ومسلم والإمام أحمد، وشهدوا له بالثقة والقرآن، ت ١٠٤هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٧/ ٢٦٣-٢٧٣)، وانظر النووى «تهذيب الأسماء واللغات»، (١/ ٣٤٠، ٣٤١).

(4) طاووس بن كيسان: الحميرى الجندى مولى، روى عن العبادلة الأربعة، كان عالماً متقناً خبيراً بمعانى كتاب الله تعالى ورعاً أميناً توفى بمكة ١٠٦ هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٥/ ٨-١٠)، وانظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (٩/ ٢٣٥-٣٤٤).

(5) المكى القرشى مولاهم ولد سنة (٢٧هـ) توفى (١١٤هـ) روى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث وانتهت إليه فتوى أهل مكة، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٩٩-٢٠٣)، وانظر ابن كثير «البداية والنهاية» (٩/ ٣٠٦-٣٠٩).

مهران[١]، ومحمد بن كعب القرظى[٢]، وزيد بن أسلم.[٣]

وثالثها: مدرسة التفسير بالعراق. وقد قامت هذه المدرسة على عبد الله بن مسعود ﷺ. وكان أشهر رجالها: علقمة بن قيس[٤]، والحسن البصرى[٥]، وقتادة بن دعامة السدوسى.[٦]

وقيمة تفسير التابعين أن ما اتفقوا عليه فهو حجة، وأما ما اختلفوا فيه فيرجع فيه إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة. وتميز تفسيرهم بكثرة الإسرائيليات واعتماده على الرواية والتلقى، وظهرت فيه نواة

---

(1) أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبى ﷺ لسنتين، روى عن على، وابن مسعود، وابن عباس، وهو من ثقات التابعين المشهور مجمع على ثقته، توفى ٩٠هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٣/ ٢٨٤-٢٨٥).

(2) من حلفاء الأوس، روى عن على وابن مسعود وابن عباس، اشتهر بالثقة والعدالة وكثرة الحديث وتأويل القرآن، ت١١٨هـ، انظر ابن كثير «البداية والنهاية» (٩/ ٢٥٧-٢٥٩).

(3) زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، من كبار التابعين، عرف بغزارة العلم، ثقة، ت١٣٦هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٩٥ – ٣٩٧).

(4) ولد في حياة الرسول ﷺ، روى عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود، كان ثقة مأموناً، على جانب كبير من الورع والصلاح، وروى له أصحاب الكتب الستة، ت٦١هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (١/ ٢٧٦-٢٧٨).

(5) الحسن بن أبى الحسن البصرى، ولد في خلافة عمر ونشأ بوادى القرى، كان فصيحاً ورعاً زاهداً عالماً فقيهاً مأموناً، ت١١٠هـ. انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٦٣ – ٢٦٤)، انظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (٩/ ٢٦٦-٢٢٦٧).

(6) عربى الأصل، روى عن أنس وأبى الطفيل، كان قوى الحافظة، واسع الإطلاع، متضلعاً في اللغة، ومن هنا جاءت شهرته في التفسير، ت١١٧هـ، انظر ابن خلكان «وفيات الأعيان»، (٢/ ١٩٧)، ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٨/ ٣٥١ – ٣٥٦).

الاختلافات المذهبية.

وأما مراحل التفسير بعد هاتين المرحلتين، فبدأت بمرحلة التدوين، حتى أصبح التفسير علماً قائماً بذاته، وكان ذلك على أيدى طائفة من العلماء، كابن ماجه[١]، وابن جرير الطبرى.[٢] ولقد نحا التفسير في تلك المرحلة اتجاهاتٍ مختلفة:

الأول: التفسير بالمأثور، مثل: «المحرر الوجيز» لابن عطية[٣]، «جامع البيان في تفسير القرآن» لابن جرير، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير[٤]، و«الدر المنثور» للسيوطى.[٥]

---

(1) أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزوينى، أحد الأعلام، ألف سنته المشهورة إحدى الأمهات الست ، توفى ٢٧٣ هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٩/ ٥٣٠ – ٥٣٢).

(2) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى (أبو جعفر) ولد عام ٢٢٤هـ، ٨٣٩م مفسر، مقرئ، محدث، مؤرخ، أصولى، مجتهد، استوطن بغداد وتوفى ليومين بقيا من شوال في بغداد عام ٣١٠هـ، ٩٢٣م، انظر الإمام الذهبى «سير أعلام النبلاء»، (٩/ ٢٠٦-٢١١).

(3) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المعروف بابن عطية المحاربى ولد عام ٤٨١هـ، ١٠٨٨م، عالم مشارك في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والأدب ورحل إلى المشرق وتوفى ٥٤١هـ، وأشهر مؤلفاته «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» . انظر السيوطى «بغية الوعاة»، (ص ٢٩٥).

(4) هو إسماعيل بن عمر بن كثير ولد عام ٧٠٠هـ، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه وتوفى بدمشق عام ٧٧٤هـ، من تصانيفه «البداية والنهاية» انظر الشوكانى «البدر الطالع»، (١/ ١٥٣).

(5) هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى، الشافعى عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد عام ٨٤٩هـ، وتوفى في جمادى الأولى عام ٩١١هـ، من مؤلفاته الإتقان في علوم القرآن، انظر السخاوى «الضوء اللامع»، (٤/ ٦٥-٧٠).

الثانى: التفسير بالرأى. والمقصود بالرأى هنا: الاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب. وقد اختلف العلماء من قديم في جواز التفسير بالرأى بين مجيز ومعارض.[١] ومن أهم كتب التفسير بالرأى الصحيح: «مفاتيح الغيب» للرازى.[٢]

وأما التفسير بالرأى المذموم كتفسير الفرق المبتدعة مثل المعتزلة والشيعة ، حيث اعتمدت الأولى على الأصول الخمسة المعلومة، والتي لا تتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة، وهى: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،والمنـزلة بين المنـزلتين. ومن أهم كتب التفسير الاعتزالى: «الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» للزمخشرى[٣]، أما أهم كتب التفسير عند الشيعة فهو «مجمع البيان في تفسير القرآن» للطبرسى[٤].[٥]

---

(1) انظر: ابن تيمية «مقدمة في أصول التفسير»، (ص ٢٨- ٢٩). والسيوطى «الإتقان في علوم القرآن» (٢/ ١٧٩).

(2) هو محمد بن عمر بن الحسين،كان إماماً في التفسير والكلام ، والعلوم العقلية وعلوم اللغة ولد عام ٥٤٣هـ وله مؤلفات عديدة أشهرها «التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب»، وتوفى رحمه الله عام ٦٠٤هـ. انظر الإمام بن كثير «البداية والنهاية»، (١٣/ ٥٥).

(3) هو محمد بن عمر بن محمد الخوارزمى الزمخشرى، مفسر، محدث، متكلم، نحوى، لغوى، بيانى، أديب ولد بزمخشر عام ٤٦٧هـ، ١٠٧٥م، من تصانيفه الكثيرة «الكشاف عن حقائق التنـزيل»، وتوفى عام ٥٣٨هـ، انظر السيوطى «طبقات المفسرين»، (ص٤١).

(4) هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى الطوسى، مفسر، ومشارك في بعض العلوم، من آثاره «مجمع البيان في تفسير القرآن»، وتوفى عام ٥٤٨هـ، انظر كشف الظنون لحاجى خليفة.

(5) انظر الذهبى «التفسير والمفسرون»، (١/ ٢٦٥) وما بعدها.

الثالث: تفسير الفقهاء. فكان من الإنتاج التفسيرى للفقهاء: «أحكام القرآن» للجصاص[١]،وهو يتكلم عن الآيات التي لها علاقة بالأحكام فقط، وكتاب: «الجامع لأحكام القرآن» لأبى عبد الله القرطبى[٢]، من أجل التفاسير، فقد احتوى على أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والناسخ والمنسوخ.

الرابع: تفسير الصوفية. وهو نوعان: تفسير صوفى إشارى، وتفسير صوفى نظرى. ومن ذلك: «لطائف الإشارات» للقشيرى.[٣]

الخامس: التفسير في العصر الحديث، الذي اهتم بعوامل مختلفة أهمها: التوسع العلمى والتأثر بالمذهب والعقيدة والإلحاد الذي قام على حرية الرأى، وكذلك اللون الاجتماعى من التفسير، ومن رواده: الشيخ محمد عبده، ومن تلاميذه السيد محمد رشيد رضا. وقد أخذ على هذه المدرسة أنها أعطت لعقلها حرية واسعة فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وهم بذلك اقتدوا بالمعتزلة في بعض تعاليمها.

---

(1) هو أبو بكر، أحمد بن على الرازى، المشهور بالجصاص، ولد ٣٠٥ هـ، كان إمام الحنفية في وقته، أخذ عن الزجاج وعن أبى الحسن الكرخى وتوفى ٣٧٠ هـ، انظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (١١/ ٢٩٧).

(2) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح القرطبى المفسر، كان من الصالحين والعلماء العارفين الزاهدين في الدنيا، توفى – رحمه الله – سنة ٦٧١هـ، انظر السيوطى «طبقات المفسرين»، (ص٢٨-٢٩).

(3) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد بن النيسابورى القشيرى الشافعى الصوفى الفقيه ولد٣٧٦ هـ، من مؤلفاته «التفسير الكبير»، «الرسالة»، «لطائف الإشارات»، توفى ٤٦٥هـ، انظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (١٢/ ١٠٧)، انظر السيوطى «طبقات المفسرين»، (ص٢١-٢٢).

المطلب الثانى
التفسير الموضوعى

وهو عبارة عن جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النـزول كلما أمكن ذلك، ثم تناولها بالشرح والتفصيل، مع الإحاطة بجوانب الموضوع، مثل أن يقال: البر في القرآن الكريم، الإحسان إلى الوالدين في القرآن الكريم، وكذلك مثل التفسير الموضوعى لعدة مسائل قرآنية تتعلق مثلاً بالنظام السياسى للدولة، والنظام القضائى.

وفائدته تتبع مستقل لموضوعات القرآن موضوعاً موضوعاً، يستكمل فيه المفسر الفكرة ويستقصيها بحيث يستطيع فهم المعنى مكتملاً وأغراضه، وإظهار السياقات المختلفة، بحيث يتمكن المطلع أو القارئ من الإلمام بكافة جوانب الموضوع بسهولة.

هذا الاتجاه له نماذج متفاوتة ، ففى الحديث الفصول المختلفة التي أشار إليها د.أحمد الشرباصى مثل «الحرية في القرآن»، و«العزة في القرآن الكريم». وكذلك الدكتور/ محمد أحمد خلف فقد جمع الآيات المتعلقة بالقصص القرآنى ورتبها تاريخياً، وحاول استخلاص الحقائق وتوضيح ما تشتمل عليه من آراء وأفكار. ومن نماذجه بحث الدكتور شكرى عياد «وصف القرآن ليوم الدين والحساب». أما في القديم فوجدنا «التبيان في أقسام القرآن» لابن قيم الجوزية.[1]

---

(1) انظر: د. عفت محمد الشرقاوى «اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث»، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ود. محمد أحمد يوسف القاسم «التفسير الموضوعى في القرآن الكريم»، طـ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، القاهرة. ود. محمد حسين

وتتميماً للكلام على التفسير الموضوعى ينبغى أن نشير إلى أن الدكتور/ عبد الحى الفرماوى في كتابه «البداية في التفسير الموضوعى.. دراسة منهجهية موضوعية» قد قسم التفسير الموضوعى إلى نوعين:

الأول: الكلام على السورة ككل، مع بيان أغراضها العامة والخاصة وما فيها، مع بيان ربط الموضوعات بعضها ببعض، حتى تبدو السورة في منتهى الدقة والإحكام.

الثانى: جمع الآيات القرآنية التي في موضوع واحد ووضعها تحت عنوان واحد، وتفسيرها تفسيراً منهجياً موضوعياً.

وهذا النوع الثانى هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق اسم التفسير الموضوعى ثم ذكر نشأته وعدم الاهتمام به قديماً.[1]

=

الذهبى «التفسير والمفسرون»، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة، طـ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(1) د. عبد الحى الفرماوى «البداية في التفسير الموضوعى.. دراسة منهجية موضوعية»، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

وقد مثل كتاب الشيخ محمد الغزالى النوع الأول «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم»، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

openkandl.com